

النقد اللساني للخطاب

Linguistic criticism of the discourse

عمار بولنوار*

amarboulouenouar2@gmail.com

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)

تاريخ الارسال: 2020/01/12 تاريخ القبول: 2020/09/11 تاريخ النشر: 2021/03/01

ملخص:

النقد اللساني علم حديث، وحقل معرفي جديد ومتحدّد، جاء ليجمع كل المناهج التي سبقته تحت غطاء واحد، وبأدوات اجرائية موحدة، حيث يستمد قواعده الأساسية من أمه اللسانيات، مع الاستعانة بنظرية الأدب، بعد معالجتها من منظور لساني، وقد شهد تطورا كبيرا تبعا لتطور اللسانيات في أدواتها، ومفاهيمها، وحقولها المعرفية، فانتقل من المعالجة اللغوية للخطاب إلى المقاربة اللسانية، التي تتعامل مع النص من جميع جوانبه الداخلية والخارجية، وهذا بالاستعانة، بجميع العلوم ذات الصلة - اللسانيات، علم النفس، علم الاجتماع، علم التاريخ، السيميائية، علم النص، ونظرية التلقي .

الكلمات المفتاحية : النقد اللساني - النقد اللغوي - الخطاب - المناهج - متعة النص ، اللسانيات.

Abstract :

Linguistic criticism is a modern science, a new and renewed cognitive Field, it came to collect all the curricula that preceded him in scientific study, and with standard procedural tools, its basic rules derive from linguistics, with the use of literature theory after its treatment from a linguistic perspective, and it has seen a great development depending on the development of linguistics in its tools, concepts, and cognitive Fields, it has moved from its linguistic treatment of discourse to its study in all its internal and external aspects.

Linguistic criticism depends on : linguistics, psychology, sociology, history science, semiotics, text science and receiving theory.

Keywords: linguistic criticism - discourse - curricula - the pleasure of text.

تطور النقد تطورا سريعا بفضل المدارس المختلفة التي ظهرت في مشارق الأرض ومغاربها، حيث عملت على تحليل النصوص والخطابات وفق مرجعياتها الفكرية و العلمية وبحسب أدواتها الإجرائية الخاصة، ولقد ظهر في منتصف القرن العشرين النقد اللساني الذي ولد من رحم اللسانيات وترعرع في أحضانها واتخذها مرجعا في نقد وتحليل الخطاب، حيث فرض نفسه في الساحة النقدية بأدوات علمية إجرائية مميزة، ومصطلحات خاصة مبتكرة ونماذج تحليلية وفقت إلى حد كبير في تحليل الخطابات بكل أنواعها الدينية والأدبية والسياسية والقانونية، وهذا بالتركيز على اللغة في المقام الأول، مع

مراعاة خصوصية كل خطاب، فما هو الخطاب، وما الفرق بين النقد اللغوي والنقد اللساني وما مصير جمالية الأدب في تطبيقات هذا المنهج اللساني .

مفهوم الخطاب:

عرف مصطلح الخطاب تبانيا في تحديده، وهذا لارتباطه بعدة مفاهيم وتصورات تتعلق باللغة، ولحضوره في شتى الفنون اللغوية - الشعرية والنثرية - والخطابات بكل أنواعها - الدينية، والأدبية، والتاريخية، والسياسية والقانونية - فربطه بعضهم بالنص، وربطه البعض الآخر بالملفوظ أو المنطوق، فلهذا الارتباط تعددت حدوده وتعريفه فهو "نظام من العلاقات يتضمن نية الدلالة والإبانة ويتحكم فيه قصد أو مقاصد تحددها نظرية الاتصال وما يتفرع عليه من وظائف كما يحددها أسلوب الخطاب وقدرات القارئ وإمكاناته على إدراك المعنى ومعنى المعنى والوصول إلى مقصد الخطاب"¹، المتمثلة أساسا في الإقناع، والذي لا يكون إلا بالحجج والأدلة والأساليب القوية، فالخطاب هو حدث لساني يخضع لشروط اللغة، ينجز في زمان ومكان، طرفاه مخاطب ومخاطب بينهما رسالة مكتوبة أو منطوقة، لذلك أصبح الخطاب في منظور اللسانيين هو "وضع اللغة موضع الفعل الدال على الحركة لأن اللغة يضطلع بها متكلموها الطبيعيون أو مكتسبوها، وليست من شأن الخطاب وهو ألصق بالكلام منه باللغة، على الرغم من أنه يكون مقتدا منها لكنه ليس مثل اللغة التي عادة ما نجدها تراوح مكانها، ولذلك فإن الشواهد التي نحتج بها عادة ما يغلب عليها الفحوص اللغوية، ولا يكاد مستشهد يقف لحظة بوصفها أجندة أو نظوما خطائية"²، وهذا ما أكدته اللسانيات الحديثة والتي فرقت في أساسها بين اللغة والكلام، هذا الأخير الذي ينبنى عليه الخطاب والذي يكون بين طرفين و"ينبغي أن يحمل خصوصية للأفكار و لمعتقدات بين الاثنين وأن يتجسد ذلك في ألفاظ تحظى بتماسك يحكمه نظام بحيث تؤدي هذه الألفاظ غرضها في الإفهام، ولأنه كذلك، لابد من أن تظهر الضمائر الدالة على المتكلم، فهو يريد إيصال أفكاره ومعتقداته للآخر، ولكن ليس شرطا أن يكون هذا الضمير مطردا في الخطاب أو ملازما لكل محتواه إضافة إلى هذا لابد من أن تكون الصياغة اللغوية متغيرة، لأنها أكثر التصاقا بالذاتية من النص، ولعل هذا ما جعل الخطاب مستهدفا بالتحليل اللساني"³، كون أن عملية التواصل التي أساسها الرسالة، تتم وفق معجم متفق عليه بين الطرفين، ولن تنجح هذه العملية الا بتوفر المرجع المشترك بين طرفي الخطاب ، لهذا اتجهت اللسانيات الى تحليل الخطاب في جميع المستويات - الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية، والتداولية - ومن جميع جوانبها الشكلية والبنوية والوظيفية والجمالية وفق ما تقتضيه نظرية الاتصال.

كما أننا نجد في موروثنا اللغوي والبلاغي من علمائنا من ربط مفهوم الخطاب بالبلاغة والحجة فالجاحظ يقول: "إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك الألفاظ في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الأذان المقبولة في الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب، واستوجبت على الله حسن الثواب"⁴، نجد الجاحظ يضع شروط نجاح الخطاب رغم أنه كان يقصد الخطاب الديني لكنه أسس لبنائية الخطاب وشروطها، وهي حسن انتقاء

الألفاظ، وحسن طرحها بأسلوب بلاغي راقٍ، لكسب قلوب المستمعين ومحاولة إقناعهم وإحداث الاستجابة فيهم، وهذا ما انبث عليه النظرية التداولية.

مستويات تحليل الخطاب:

ظهر مفهوم تحليل الخطاب في النصف الثاني من القرن 19م عند علماء الغرب، ثم انتقل إلى المدرسة العربية حيث انطلقوا في تحليلهم للغة من الجملة التي قسموها إلى أجزاء حتى يكشفوا عن دلالاتها، ثم نضج التفكير إلى أن انتقلوا في تحليلهم إلى مستوى أكبر وخارج الجملة، فعمدوا في تحليلهم " اللغوي على استنتاج طبيعة ومعاني الكلمات والجمل من سياق استخدامها الاجتماعي ويجمع هذا الاتجاه بين العوامل اللغوية والعوامل غير لغوية "5، كما ظهرت مدارس أخرى اهتمت بالعلاقات الداخلية الناشئة في النص وترى أنه "وحدة لسانية مستقلة بنفسها إذ هو بهذا المنظور تطلع فكري يأخذنا إلى المعالجة الداخلية له بخلاف الإسقاطات الخارجية التي تحمل المفاهيم على الأحداث"6، فيتم تحليل النص من خلال العلاقات النسيجية المشكلة له، فيكون متماسكا في مبناه ومعناه وعند التحليل تكشف تلك "الوحدات التي تجمع بين جملة وأخرى، وبين فقرة داخل النص، غير أن وحداته قد تكون داخلية أي داخل النص أو الفقرات المشكلة له، أو الجمل في عملية الربط داخله وخارجه، أي تلك التي نجد للمتلقى يدا في إنتاج حيويتها داخل النص وليس المتلقي وحده المسؤول عن عملية التماسك بل حتى المحيط الخارجي أو البيئي والثقافي والاجتماعي، ودورها في ديناميكية النص أو الخطاب، وهي كلها مصاحبات معرفية تدعو إلى التماسك"7، ومن مظاهر هذا التماسك والاتساق في النص والخطاب الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والفصل، وغيرها من الروابط التي تجعل النص بنية واحدة .

ولتحليل هذه النصوص والخطابات وتحقيق التواصل الصحيح والسليم عمد العلماء إلى تقسيم "اللغة إلى عدة مستويات تحليلية ليتمكنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها، وقد سلكوا في ذلك مناهج متعددة يهدف كل منهج منها إلى وضع تفسير دقيق لظواهر اللغة، والمقصد من هذا إمطة اللثام عن أبعاد اللغة الدلالية ومقاصدها في التواصل الاجتماعي"8، فذهبوا إلى تجزئ وحداتها الكبرى والصغرى وتقسيمها إلى مستويات في الدراسة والتحليل منها المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي ومستوى المفردات أو المعجمي، والمستوى التداولي، فتفاعل هذه المستويات فيما بينها لإنتاج الدلالة .

1- المستوى الصوتي : في هذا المستوى تظهر دلالة الأصوات المكونة للكلمة أو اللفظة، ويعد ابن جني رائد الدراسات الدلالية الصوتية العربية، حيث تنبه إلى وجود علاقة بين اللفظ والحروف المكونة منه ودلالة هذه الألفاظ، وقد خصص في كتابه الخصائص أبواب في ذلك مثل الاشتقاق بنوعيه الكبير والصغير، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وغيرها من الأبواب التي عالج فيها قيمة الصوت في إنتاج الدلالة، فللأصوات صفات أساسية وثنائية وأخرى فارقة، ولها مخارج مختلفة فكل هذا يجعل منها المجهور والمهموس والشديدة والمتوسطة والمقلقة والمكرر والمنحرف وغيرها من الصفات، فمثلا كلمة "تنضح" كما يحدثنا كثير من اللغويين القدماء تعبر عن تسرب السائل في قوة وعنق فهي إذا قورنت بنظيرتها -تنضح- التي تدل على تسرب السائل بتؤدة وبطء، يتبين لنا أن صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها، فقد أكسبها في رأي أولئك اللغويين تلك القوة وذلك العنف"9، فبتغير مخرج الحرفين تغيرت دلالة الكلمتين، كما تعمل

حركات الإعراب فارق في دلالة، فالفتحة تدل على المفعولية، والضممة للإسناد، والكسرة للجر، وهي تختص بالأسماء دون الأفعال، كما يستمد المعنى من خلال النبر والتنغيم والوقوف، وغيرها من الأداءات الصوتية التي تؤثر في الدلالة "تغيير في المعنى قد يتبعه تغيير في الدلالة في كثير من اللغات" ¹⁰ وخاصة العربية .

2- المستوى الصرفي : ويقصد به مجموع الصيغ الصرفية التي تتميز بها لغة ما، وصيغة الشيء هيئته وشكله الذي بني عليه، والصيغة من صاغ يصوغ صياغة، والصياغة حسن النسيج والتحكم في البناء والتركيب، وإذا قلنا حسن النسيج هذا يعني أن الصيغ ليست أصلية، وإنما هي فروع عن مباني أصلية لأن " البناء هو الأصل الذي تنفرع منه الصيغة فتتنوع أشكالها وبالتالي دلالتها " ¹¹، وهذه الأبنية هي الأفعال والأسماء والصفات، فصيغة (كتاب) من الفعل كتب وسارق من سرق الخ، وتتكون كل صيغة من ثلاثة عناصر أساسية هي "المادة والوزن والدلالة" ¹²، ويتغير مكون من هذه المكونات تتغير الصيغة، والمادة هي "مجموع الصوامت العاملة في إنشائها" ¹³، أي في إنشاء الصيغة، فتختلف باختلاف عدد الصوامت المكونة لها وكيفية بنائها وترتيبها، مما ينتج أوزان كثيرة تؤدي دلالات مختلفة، فالاسم يدل على الثبوت، والفعل متعلق بزمان (ماضي - مضارع والمستقبل) والصفات لها دلالات حسب أوزانها مثل اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الآلة وغيرها، وكلها توظف في تراكيب نحوية .

3- المستوى النحوي : نقصد بالمستوى النحوي تراكب الجمل، كون الجملة في العربية تتكون من عناصر تتفاعل مع بعضها لتنتج الدلالة، ويكون هذا بالتقديم والتأخير والرفع والنصب والجر، وهذا هو الإعراب في اللغة الذي هو أقوى "عناصرها وأبرز خصائصها"، بل سر جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة، لأن الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهم لولا خلاطهم لهم لما لحنوا في نطق ولا شذوا في تعبير" ¹⁴، فترتيب مكونات الجملة على النحو الصحيح، وضبط ذلك بالحركات ينتج عنه وضوح الدلالة المقصودة من عملية التواصل، كما أن لأسلوب التقديم والتأخير الذي هو من الأساليب النحوية دلالة فنية، يدركها المتبحرون في البلاغة أصحاب الصنعة والاختصاص.

4- المستوى المعجمي: تتحدد معاني النصوص بالدلالة المعجمية للكلمات والمفردات المكونة له، فالدلالة المعجمية هي دلالة اللفظة "التي استخدمت بها في المجتمع مفردة أو في تركيب سواء أكان المعنى حقيقيا في أصل الوضع، أو مجازيا منقولاً عن معنى حقيقي" ¹⁵، فالمعاجم تمدنا بمعاني الكلمات إلا المهمة منها، ومرادفاتا ومخالفاتها في المعنى بالتمثيل في سياقات مختلفة فالدلالة المعجمية لا تعني "دلالة كلمة مفردة فقط بل يدخل فيها كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة لا تتجزأ" ¹⁶، وتتغير هذه المعاني وتنوع باختلاف التراكيب الواردة فيها .

5- المستوى التداولي: يهتم هذا المستوى بدراسة الاستعمال اللغوي، ليس من جانب بنية اللغة الداخلية، وإنما من حيث العلاقات الخارجية الاجتماعية والثقافية، فندرس اللغة "حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي باعتبارها كلاما محمدا صادرا من متكلم محدد وموجهها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد" ¹⁷، وهذا هو السياق التواصل الذي يحدث عملية التفاعل والتأثير والتأثر، والذي يبنى على عملية التأويل

كون أن المخاطب يوفر معطيات لسانية لغوية في لحظة زمنية معينة، يتم تحليلها وتأويلها وفق الرصيد المعرفي المشترك الذي يجمع المخاطب والمتلقين للخطاب، ثم يتم حصر المعنى المراد من عملية التواصل .

يتم تحليل التداولي للنصوص من جوانب علمية عدة ، لكل جانب دراسته الخاصة، وقد تحصر هذه الجوانب والمسارات من عدة منطلقات منها "منطلق الإشارات النصية والافتراضات المسبقة للنص والاستلزام الحوارية والأفعال الكلامية"¹⁸، لأن الهدف من عملية التواصل هو إحداث التأثير والاستجابة في المتلقي.

أ- الإشارات النصية : هي مجموعة الرموز والمعالم المتواجدة في النص، والتي يعمل القارئ على تفسيرها وتأويلها، فمتى وجدت "إلا ووجد معها دليلها العلمي الذي يجمع ما بين وجودها في حقيقة الاستعمال أي ما هو كائن، وما هو في نطاق تحديدها أو تفسيرها كمرجع خارجي"¹⁹ ، فهذه الإشارات والرموز هي تصورات فكرية أنتجها الخطاب في حدوده الداخلية اللسانية، يعمل المؤول على ربطها بمحيطها الخارجي الثقافي والاجتماعي، ليحصل منها الفهم والإقناع ، فالإشارات النصية في مجملها متعلقة بزمان الخطاب، ومكانه ووضعيات المخاطب عند استعماله للضمائر (أنا،نحن،....) سواء كانت حقيقية أو مجاز، أو إشارات اجتماعية تربط بين المخاطب والمتلقي، فخطاب الإداريين يختلف عن خطاب السياسيين، وخطاب الفقراء يختلف عن خطاب الأغنياء .

ب- الافتراضات المسبقة: وهي مجموعة المفاهيم المسبقة عن الكلمات والأشياء والجمل، قد يعلمها المتلقي من باب الثقافة العامة والرصيد اللغوي المكتسب، فالافتراضات تتكون عن طريق بعض "القرائن اللفظية التي يستخدمها الباحث للدلالة على تصورات المعرفية داخل النص، والمشاركة التي يعقدها بينه وبين المتلقي يستعمل أحيانا بعض الألفاظ المنكرة، التي تخلو عادة من "ال" الدالة على التعريف فهو يدرك أن المتلقي سيفهم حتما أن وجودها لم يكن من العدم بل أن الدلالة التي ترمي إليها هذه الإشارة تحمل بصاحبها إلى تصور معرفي سيدل على إفصاح معرفي لاحق"²⁰ ، يتصوره المتلقي ويشبته بالمنطق، أو ينفيه أو يشك في صحته لأن لديه تصور مسبق عليه .

ج- المستلزمات الحوارية : إن عملية التواصل تفرض على طرفيها المخاطب والمخاطب التعاون والتشارك في إنتاج الخطاب، لأن "فهم معاني الأشياء المعبرة عنها يتفاوت بين الناس بحسب استعداداتهم وقدراتهم، فصور الأشياء تتلون في أذهانهم بحسب كيفية إدراكهم لها ومقدارها والزاوية التي ينظرون منها إليها والوجه الذي ينطلقون منه"²¹، فتتعدد القراءات والاستنتاجات، لهذا وجب على الخطيب أن يقرب الفهم ويبسطه حسب درجة المتلقي، لتكون عملية التواصل متكافئة بين الطرفين، وهذه من لوازم الحوار.

د- أفعال الكلام: يعتمد في التحليل من هذا الجانب على أفعال الكلام أو الانجاز، كون أن اللغة وسيلة التواصل الأساسية وفعل "التكلم بشيء ما بالمعنى الواسع لهذا المركب إنما اسميه بل أمنحه هذا اللقب وهو انجاز فعل الكلام، ومن هذا السياق فإن دراسة العبارات المتلفظ بها هي في الحقيقة ولنفس السبب دراسة أفعال الكلام، وإن شئت قلت دراسة الوحدات الشاملة لعناصر التكلم اللغوي"²²، فالفعل الكلامي حسب أوستن مكون من ثلاث أفعال .

– **الفعل اللفظي** : هو مختص باللغة وقواعدها حيث "ينتظم هذا النوع من الأفعال في شكل قوالب صوتية لغوية وفي أداء نحوي سليم يتمخض عنه معنى أصلي واضح ومباشر ، ثم إنه يتحقق عن طريق إحالة تدل عليه أو مرجع يثبت حقيقة العودة إليه "23، فهذا دال والآخر مدلول.

– **الفعل الإنجازي**: وهو متعلق بعملية التواصل فهو عبارة عن "معنى إضافي يدل على التحذير من عمل شيء أو إرجاء عمل ما"24، يفهم هذا من الألفاظ الصريحة والواضحة المنجزة

– **الفعل التأثيري** : ويكون هذا النوع من الأفعال بعد "الأداء الأصلي ثم الإنجازي، ثم ما يتركه هذان الفعلان من أثر في السامع أو المتلقي من غضب أو سعادة أو حزن وما شابه ذلك"25، وكل هذه الأفعال تفهم في سياقها الاجتماعي والنفسي والثقافي ، حيث أن المنجزات اللغوية سواء أكانت صادقة أو كاذبة تترك في نفس المتلقي أثر وتولد فيه رد فعل إيجابي أو سلبي، وهذا هو أساس الخطاب، "لهذا أصبح تحليل الخطاب هو غاية في عدم الاستقدار لوجوده في ملتقى العلوم الإنسانية توجد تحليلات للخطاب تغلب عليها الصبغة الاجتماعية، وأخرى تغلب عليها الصبغة اللسانية، والثالثة تغلب عليها الصبغة النفسية"26، فلهذا تعددت مناهج تحليل هذا الخطاب كل حسب تخصصه، كما تجاذبته عدة علوم وعلى رأسها علم اللسانيات .

بين النقد اللساني والنقد اللغوي:

لقد حاول علماء اللسانيات دراسة الخطاب من منطلق أن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة، وعليه ابتكروا مناهج لتحليل الخطاب ذات أبعاد لسانية محضمة، ولكن يتبادر لنا ها هنا سؤال ما الفرق بين النقد اللساني للخطاب والنقد اللغوي والذي أشرنا إلى مستوياته من قبل، ويمكننا أن نقول أن النقد اللغوي هو صفة لكل "نشاط أو علم يعالج اللغة أو قضاياها في مرحلة ما قبل نشأة اللسانيات المعاصرة التي عرفت طريقها إلى النشأة والاستقلال مع مطلع هذا القرن، وهي صفة تشمل المنجز العلمي الذي أسهم به سلفنا من علماء العربية في مسيرة الفكر اللغوي"27، في كل المستويات وعبر كل العصور التي سبقت ظهور علم اللسانيات في العصر الحديث، أما النقد اللساني فهو "كل نشاط بحثي معرفي ينتمي إلى المرحلة المعاصرة من الفكر اللغوي أي (اللسانيات)، بما هي علم عرف طريقه إلى الكينونة الأكاديمية مع مطلع القرن، وانشعبت مدارسها واتجاهاته على جامع يجمعها من التزام لمواصفات المنهج العلمي ومواصفاته، ولمنظومة من العقائد العلمية التي لما يرد عليها التغير والحوّل"28، فبهذا انتقلت الدراسات الحديثة من المفهوم العام للغة إلى المفهوم العلمي لها وهي اللسانيات ،ومن هذا يمكننا القول أن النقد اللساني هو "اتجاه نقدي يحدث يستعير آلياته التحليلية للنصوص من أمه الودود *اللسانيات* وما جاورها من البلاغة والأسلوبية والسيمولوجيا"29، فالنقد اللساني يستمد أدواته الإجرائية للتحليل من اللسانيات والعلوم المجاورة لها ويوظف "مناهج اللسانيات بأفرعها المختلفة ومصطلحاتها المتنوعة ومفاهيمها المتباينة، في حقل النقد الأدبي أي في الدراسة النقدية للخطاب إضافة إلى ذلك يوظف مفاهيم من النظرية الأدبية ولكن بعد أن تكون قد خضعت لتمحيص ومناقشة من منظور لساني"30، وهذا الاتجاه النقدي لا يقتصر على النصوص الأدبية فحسب بل يشمل كل أنواع الخطابات الدينية، والسياسية، والقانونية، والدبلوماسية الرسمية، ولا يدّعي أصحاب هذا المنهج النقدي أنه يفني بالغرض من العملية النقدية" بل يدعون صراحة إلى

التحليل اللساني الذي يقارب النص، أي النص بالمفهوم الواسع للكلمة كصيغة من صيغ الخطاب ويأخذ بعين الاعتبار الأبعاد التداولية والاجتماعية والتاريخية للغة، والتي تتيح لنا وضع الخطابات الأدبية في سياقاتها التاريخية، والاجتماعية، والإيديولوجية، والتي تؤثر في عملية إنتاج الخطاب وتلقيه³¹، فالنقد اللساني بالإضافة إلى دراسته للغة الخطاب وإظهاره للجد في الرديء، وتبينه لمواطن الإبداع والجمال في الخطاب، يضع النص في سياقه الاجتماعي والتاريخي والتداولي، ويدرس نفسية المتلفظ به وأيديولوجيته، وهذا ما عجزت عليه مناهج ما قبل البنيوية وما بعدها، فأصحاب هذا الطرح حاولوا دمج هذه المناهج كلها تحت منهج واحد وأدوات إجرائية خاصة قصد مقارنة النصوص من كل جوانبها المتعددة والمعقدة، وقد قدّموا لذلك نماذج قصد تحليل النصوص من وجهة نظر النقد اللساني .

إن أهم ميزة للنقد اللساني هي "القدرة على الانتقال من مستوى إلى آخر (من دون الالتزام بالوصف على المستويات كلها)، لنفترض أن ناقدا أهل نفسه لسانيا في كل من الجوانب اللغوية ووجد لنقل خاصية تركيبية لافتة في نص ما قد يكون تركيبيا وترتيا غريبا من حيث التقديم والتأخير أو تكرارا استثنائيا للصفات، فإن الناقد سيكون مؤهلا أيضا للبحث عن خصائص ذات الصلة في البنية الدلالية أو الإيقاعية لتفسيرها، وتلك القدرة على الانتقال من مستوى إلى آخر هامة، لأن الخصائص النصية التي تهم النقاد غالبا ما تلتصق بالباء على مستويات لغوية عديدة ومختلفة"³²، هذه المستويات العديدة للغة تحتاج إلى أكثر من منهج وأكثر من وسيلة لفك رموزها ودلالاتها، لذا حاول هذا المنهج إيجاد آليات مناسبة كي تتفاعل هذه العلوم المختلفة بوسائلها المتعددة للوصول إلى فك شفرات الخطابات ولمس معانيها ودلالاتها .

وإذا سلمنا جدلا بهذا الطرح الجديد الذي جاء به النقد اللساني فيمكننا القول أن "ذروة النقد اللساني وسنامه فيما تطرحه المدارس والمذاهب اللسانية على اختلافها من تصورات وتقنيات محكمة لتحليل الكلام سواء على مستوى الجملة أو النص وسواء من حيث البنى الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، أو من حيث الوظائف الاجتماعية والاستعمالية وتعتضد اللسانيات في ذلك بعلوم السيميائية والتأويلية والمقامية"³³، فهذا المنهج يعمل على الربط بين النقد اللغوي والنقد الأدبي تحت مسمي واحد.

مجالات النقد اللساني:

إذا كانت المناهج النقدية قد انقسمت في مجملها إلى مناهج سياقية وأخرى نسقية، فإن النقد اللساني هو "قراءة واحدة يمكن حصرها في الرسمية التالية:"³⁴

01- القراءة البنيوية

02- القراءة البنيوية التوليدية

03- القراءة الأسلوبية

04- القراءة السيميائية "

بالإضافة إلى المناهج السياقية ولسانيات النص والتلقي .

يرى بعض العلماء أن تسمية كل هذه المناهج المختلفة في الأدوات والمتبانية في الاتجاهات بالنقد اللساني هو "تحايل على المنهج المركب ليتسع لها جميعا مادامت تنتمي إلى الأصل انتماء الفرع، فتتعدد أدوات القراءة بل تتجاوز فيه القراءات تبعا بالانطباع المباشر الذي يختلقه الأثر إلى الوصف إلى الاستنباط إلى التحليل إلى التركيب الذي يتخطى حدود النص كدال والتناص إلى تقاطع النصوص"³⁵ هذه وجهة نظر الذين يرون صعوبة دمج كل هذه المناهج تحت منهج واحد يكون متنفسا لكثير من النقاد الذين حيرتهم الخطابات التي يستحيل قراءتها ونقدتها بمنهج واحد، ذلك أن تحليل الخطاب "هو مبحث متعدد التخصصات في الأساس فهو يشمل أبحاث اللغويات، والبيوطيقا، والسيميوطيقا والدراسات التداولية وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ والاتصال، نظرا لطبيعة الخطاب ذات الأوجه المتعددة، يجب أن تتكامل هذه الأبحاث المنتمية إلى تخصصات متعددة، ويجب أن نتوصل إلى نظريات تتسم بالتعقيد والقدرة على تفسير أبعاد الخطاب النصية والإدراكية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والحقيقية إن مشكلة مثل العنصرية لا يمكن أن تفهم تمام الفهم على ضوء علم واحد"³⁶ ولا يوجد علم يستطيع جمع هذه العلوم المختلفة الاختصاصات تحت قالب واحد إلا اللسانيات، وهو ما أكدته فان ديك على أن مشكلة مثل العنصرية مثلا لا يمكن أن تعالج بمنهج واحد، وإلا فسيكون التحليل قاصر ولا يصيب كبد الخطاب .

النقد اللساني وجمالية الخطاب:

يرى بعض الدارسين أن النقد اللساني يمكن أن يؤدي غرضه إذا طبق على النصوص غير الأدبية، لكن النصوص الأدبية في نظرهم ذات لغة خاصة وأن "اللغة الأدبية التي يرومها النقد الألسني لغة أخرى غير التي تبغيها اللسانيات، لأنها تخرق كل معايير (اللغة الأدبية الجمالية)، وتتجاوز كل تعقيد (الضرورة الشعرية، الإيقاعية)، وتركن إلى كونها استعارة كبرى، تتأسس على طبيعة رواغة كثيرة التلون فهي تختلف عن اللغة القياسية لأنها تنزاح بطبيعتها عن معيارية اللغة، لأن هدف اللغة الأدبية إثارة انفعال لا تقرير وقائع، فهي لغة استشرافية بطبيعتها لأنها لا تعرف اختزال المعنى، وأنها توسّع وتضيق وفي نفس الوقت التفاوت بين الرمز والفكرة، بين العلامة والمكتوب، والمكتوب والمعنى المحدد"³⁷ وكل هذا قد تفتنت له الدراسات اللسانية التي انتقلت من المعيارية إلى الوصفية من أجل معالجة هذه الظواهر الخاصة بالأدب، وهي لا تنكر "دور المتعة والذوق والحدس في التقريب بين شقة النص والمتلقي، ولكن الدراسات الجدية لا يمكن لها البتة أن تستغني عن اللسانيات وإنما كلما أوغل فيها دارس الخطاب الشعري إلا وتبيّنت له آفاق جديدة وتوضّحت أمامه معالم منهجية ملائمة"³⁸، فتلزم الناقد التمكن من المفاهيم العامة والخاصة للسانيات، وتوجب عليه اكتساب آلياتها العملية لتطبيقها على لغة الخطابات الأدبية، وحسب رولان بارت فإن لذة النص تكمن في لغته "وأن نص اللذة هو النص الذي يرضى فيمتلأ، فيهب الخبطة إنه النص الذي ينحدر من الثقافة، فلا يحدث قطيعة معها، ويرتبط بممارسة مريحة للقراءة، وأما نص المتعة فهو الذي يجعل من الضياع حالة وهو الذي يحيل الراحة رهقا (لعله يكون مبعثا لنوع من الملل)، فينسف بذلك الأسس التاريخية والثقافية والنفسية للقارئ نسفا، ثم يأتي إلى قوة ذواقه، وقيمه وذكرياته، فيجعلها هباء منثورا، وإنه ليضل به كذلك حتى تصبح علاقته باللغة أزمة"³⁹، فوجب على الناقد والقارئ أن يجد حلولا لهذه الأزمات، ولا يمكن أن

نجد لها حلولاً إلا في اللغة، فامتعة واللذة في معرفة اللغة وإحالاتها وانزياحاتها الدلالية والاجتماعية والثقافية والنفسية والجمالية للنص.

لقد فتح النقد اللساني أمام الباحثين والنقاد أفقا رحبا لمقاربة النصوص والخطابات في جمع مستوياتها – الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية والتداولية – ومن كل الجوانب النفسية والاجتماعية والتاريخية، ومن حيث العلاقات الداخلية للخطاب في اتساقه، وانسجامه وتربطه مع الحفاظ على فنيته وجماليته، فلا يوجد نقد من دون لسانيات .

الهوامش:

- ¹ نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ط1، دار هومة، الجزائر، 2010، ص: 07
- 2 عبد الجليل مرتاض، الروافد اللسانية لتحليل الخطاب، ط1 دار هومة، الجزائر 2016، ص: 07
- 3 ابراهيم أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي ثلاث مداخل نقدية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن 2016، ص: 21
- 4 أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر سوريا، ص: 114
- 5 محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 2005، ص: 41
- 6 معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، ط1، دار القدس العربي، 2011، ص: 17
- 7 نفسه ص
- 8 محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ط01، دار النشر للجامعات مصر، 2005، ص: 12
- 9 ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط02، المكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1963، ص: 46
- 10 نفسه، ص: 47
- 11 سميرة رفاس، الملامح الدلالية للتشكيلات الصوتية في المباني الافرادية من ديوان ربيع بوشامة، رسالة ماجستير جامعة وهران، 2003، لم تطبع ص21.
- 12 مكي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ط2، دار الأديب، وهران، ص: 125
- 13 نفسه، ص: 127
- 14 صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 2009، ص: 118
- 15 محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص: 157
- 16 نفسه، ص: 157
- 17 حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014، ص: 40
- 18 معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، ص: 173
- 19 نفسه، ص: 175
- 20 نفسه، ص: 185
- 21 المهدي ابراهيم الغول، السياق وأثره في المعنى، ط1، أكاديمية الفكر الجماهير، ليبيا، 2011، ص: 114
- 22 نفسه، ص: 114
- 23 أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص: 115

- 24 عمر معراجي، النص الدلالة والتداول، ص: 119
- 25 نفسه، ص: 119
- 26 باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب ودومينيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري وحماي صمود، دار سيناترا، تونس، 2002، ص: 45
- 27 سعيد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، ط1، دار عالم الكتاب، القاهرة، سنة 2004، ص: 228
- 28 نفسه، ص: 230
- 29 حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، سنة 2013، ص: 38
- 30 روجر فاوولر، النقد اللساني، ترجمة عفاف البطينة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص: 9
- 31 نفسه، ص: 09
- 32 نفسه، ص: 25
- 33 سعيد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، ص: 234
- 34 مونسى حبيب، نقد النقد، ط1، دار الأديب، وهران، 2007، ص: 140
- 35 نفسه، ص: 140
- 36 فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب، تر: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، ع 77، سنة 2010، ص: 45
- 37 مونسى حبيب، نقد النقد، ص: 145
- 38 محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ط1، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2016، ص: 102
- 39 رولان بارت، لذة النص، ط1، ترجمة منذر عياشي، دار الوسيم، سوريا، 1992، ص 39

قائمة المصادر والمراجع

1. ابراهيم أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي ثلاث مداخل نقدية، ط1، عالم الكتاب الحديث، الأردن 2016
2. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط2، المكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1963
3. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر سوريا
4. أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، تر: عبد القادر قنيني، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991
5. باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب ودومينيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري وحماي صمود، دار سيناترا، تونس، 2002
6. حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014
7. حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، سنة 2013
8. روجر فاوولر، النقد اللساني، تر: عفاف البطينة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص
9. سعيد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، ط1، دار عالم الكتاب، القاهرة، سنة 2004
10. سميرة رفاص، الملامح الدلالية للتشكيلات الصوتية في المباني الفردانية من ديوان ربيع بوشامة، رسالة ماجستير جامعة وهران، 2003
11. صبيحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 2009
12. عبد الجليل مرتاض، الروافد اللسانية لتحليل الخطاب، ط1 دار هومة، الجزائر 2016
13. محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ط1، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2016
14. محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 2005

15. • التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ط1، دارالنشر للجامعات مصر، 2005
16. معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول ، ط1، دارالقدس العربي ، 2011
17. مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ، ط2، دارالأديب ،وهران 2006
18. المهدي ابراهيم الغول، السياق وأثره في المعنى، ط1، أكاديمية الفكر الجماهير، ليبيا، 2011
19. مونسى حبيب، نقد النقد ، ط1 ، دارالأديب ، وهران، 2007
20. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ط1، دارهومة، الجزائر، 2010
21. فان دايك، من نحو النص إلى تحليل الخطاب، مجلة فصول ، ع 77، سنة 2010 تر: أحمد صديق الواحي